نشــأة وتطـوّر الصحافــة الأهلية الجزائرية(1893-1954)

مقدمة:

عرف الباحث زهير إحدادن هذا النوع من الصحافة المكتوبة الذي عرفته الجزائر في هذه الفترة بقوله: «... تلك الصحافة التي يقوم بها المسلمون الجزائريون من ناحية التسيير الإداري و المالي و من ناحية التحرير و التوزيع، و يكون مضمونها يتعلق بالقضايا الإسلامية الجزائرية و بشؤونهم العامة في علاقتهم بالوجود الإستعماري بالجزائر... ».

و قد اتخذت هذه الصحافة اتجاهات مختلفة، منها المهادن للإستعمار، وصنف آخر معتدلة اللهجة، ومنها ذات إتجاه طرقي، و نوع آخر ذات نزعة إصلاحية ووطنية، و هو ما سنبينه من خلال هذه المحاضرة.

1. نشأتها:

1-1- ظروف نشأتها:

قام الجزائريون مع نهاية القرن 19م، و في بداية القرن 20 م بتأسيس صحف خاصة بهم إشرافا و تمويلا و إدارة، في ظل النشاط المكثف للصحافة الاستعمارية التي أسهمت بدورها في دفعهم إلى هذا الميدان، و اتخاذ الصحافة كوسيلة نضالية دفاعا عن حقوقهم المغتصبة و التصدي لسياسة المسخ الاستعمارية و من ثمة توعية الشعب الجزائري بمخاطر سياسة المحتل و مخططاته الإستدمارية.

و تكمن أهمية الصحافة الاستعمارية بالنسبة للجزائريين بالرغم من سلبياتها الخطيرة، من خلال أنها تمكنت بفضل تمتعها بحرية الممارسة الإعلامية"من فتح ثغرة في جدار الخرافة الخاصة بقوة فرنسا التي لا تقهر، و ذلك من خلال النقد الذي كانت توجهه هذه الصحف إلى السياسة الفرنسية و قد انعكست هذه الحرية التي كانت تمارسها صحف المعمرين على المثقفين الجزائريين و خاصة الذين ترعرعوا في المدرسة الفرنسية ،فأدركوا أهمية الدفاع عن حقوقهم و التعبير عن مطالبهم أسوة بالأقلية الأوروبية التي استطاعت استخدام حقها في هذا الميدان بمهارة و ذكاء. كما اقتنع المثقفون الجزائريون بأهمية الصحافة كوسيلة فعالة للنشر و لتوصيل مشاكلهم و مطالبهم إلى المسؤولين في الحكومة الفرنسية".

و نجد على رأس هذه الصحافة، جريدة المبشر الاستعمارية، فرغم "الدور الخطير الذي أدته، بحيث لم تستعمل لخدمة العلم و المعرفة و الحضارة الزاحفة المتطورة، بل للترويج، للظلم و الطغيان و طمس الحقائق"، إلا أنها عدت مدرسة هامة تكون و تخرج منها بعض الصحفيين الجزائريين الأوائل الذين استطاعوا بفضل ذلك تأسيس صحف خاصة بهم، كما استفاد بعضهم كذلك من تجربتهم في القسم المعرب من جريدة الأخبار الإستعمارية على حد قول الأستاذ زهير إحدادن.

و بدورها الصحافة العربية المشرقية التي كانت تدخل إلى الجزائر متخفية، مثلت عاملا محفزا للنخبة الوطنية الجزائرية في تأسيس الصحف، حيث تمكنوا من خلالها الاطلاع على فنيات التحرير الصحفي و التزود بالأخبار و المواضيع المتنوعة المعارف.

كما تميزت فترة العشرينيات و الثلاثينيات القرن الماضى بمحاولة المحتل الفرنسي توظيف شتى الطرق لطمس الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل مقوماتها الدينية واللغوية والثقافية والحضارية باعتبارها العقبة الكؤود التي تحول دون تجسيد مشروعه الاستعماري الاستيطاني الصليبي. وكرد فعل

على ذلك حاولت النخبة الإصلاحية الوطنية التصدي لمخططات المحتل الاستدمارية عن طريق الصحافة المكتوبة باعتبارها أكثر الوسائل الفعالة لتوعية الشعب الجزائري واستنهاض همه.

2-1- ميلادها:

مثلت جريدة الحق الصادرة في سنة 1893بمدينة عنابة، التي اعتبرت أول جريدة تصدر بالجزائر لمسلمين جزائريين، ، البداية الحقيقية لظهور الصحافة الأهلية الجزائرية، استطاعت الحق أن تكشف الحالة المزرية للمسلمين الجزائريين بسبب السياسة الاستعمارية ،و تنتقد اليهود على استغلالهم اللاإنساني للجزائريين ، سيما في مجال المعاملات المالية، الأمر الذي أغضب السلطات الاستعمارية و إقدامها على توقيفها سنة 1894

و مع بداية القرن العشرين أصدرت النخبة الجزائرية المثقفة مجموعة هامة من الصحف ناطقة باللغة العربية و بعضها مزدوجة اللسان، ذات أهمية بالغة بالنسبة للجزائريين، بحيث نورتهم بالأخبار المحلية و الدولية، و طرحت انشغالاتهم و مطالبهم على الإدارة الاستعمارية بطريقة أو بأخرى، نذكر منها: المصباح (1904- 1905) لمؤسسها العربي فخـار، وكوكب إفريقيـا (1907- 1914) لصاحبها الشيخ محمود كحول، والجزائر (1908) لـ: عمر راسم، والحق الوهراني(1911- 1912)لصاحبها الفرنسي شارل تابي، والإسلام (1913-1910) لصاحبها صادق دندان، والفاروق (1913- 1915) لصاحبها عمر بن قدور الجزائري، وذو الفقار (1913- 1914) لـ: عمر راسم، و البريد الجزائري(1913) لـ: عزالدين القلال.

2-تطورها:

2-1- فترة (1919- 1939):

ظهر خلال هذه الفترة عدد معتبر من الصحف الناطقة باللغة العربية و أخرى باللغة الفرنسية، إضافة إلى صحف مزدوجة اللسان، نذكر من أهمها: الإقدام (1923-1919) لـــصاحبها: الأمير خالد الجزائري، والنجاح (1919- 1956) لـ: عبد الحفيظ الهاشمي، و لسان الدين(1923)، والبلاغ (1926- 1947)لسانا حال الطريقة العليوية بمستغانم. والمنتقد (1925) والشهاب (1939-1925) لعبد الحميد بن باديس، و صدى الصحراء (1926-1925 ثم 1934) لـ: أحمد بن العابد العقبي، و التلميذ(1931- 1933) لسان حال الطلبة المسلمين بالجزائر، وصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، والإصلاح (1927- 1948) للشيخ الطيب العقبي، و الميدان (1937-1936) ، وغيرها من الصحف الوطنية.

2-2-فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (1946- 1954):

تطورت الصحافة العربية الجزائرية الصادرة في هذه الفترة من حيث الطباعة و الإخراج و الأسلوب مقارنة بالمرحلة السابقة، كما أصبحت تعبر عن اتجاهات سياسية لأحزاب و منظمات وطنية ، ونجد من أبرز صحف هذه الفترة: الجزائر الجديدة (1946- 1955) لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، والبصائر في سلسلتها الثانية (1947- 1956) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و صحافة حركة أنصار البيان (1944- 1956) و صحافة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية(1956-1946)، والمغربي العربي (1949-1947، ثم1956) باللغتين الفرنسية و العربية لـ: محمد السعيد الزاهري،

والمنار(1954-1951) لـ: محمود بوزوزو، و المرشد(1952-1946) لسان حال الطريقة العليوية، وصوت المسجد(1950-1948) لصاحبها محمد العاصمي و غيرها من الصحف التي زودت القراء الجزائريين بمستجدات الساحة المحلية و الدولية، و من ثمة ساهمت في إيقاظهم و تعميق الوعي الوطني لديهم بطريقة أو بأخرى ، فالموضوعات و القضايا التي كانت تعالجها هذه الصحف "كانت تتسم بوعي عميق و عداء صريح للاحتلال بكل أشكاله و مستوياته".